مقياس: النص الأدبي المعاصر	يوم الثلاثاء: 08 شعبان 1447/ 27 جانفي 2026
السنة الثانية دراسات نقدية	
محاضرة 03 الروّاد والتجربة الشعرية الجديدة: نازك الملائكة وبدر شاكر السيّاب نموذجًا	

أولًا: مدخل عام إلى مفهوم الريادة الشعرية

إن مفهوم **الريادة** في جوهره يعني السبق والكشف، والرائد هو من يتقدم قومه لاستكشاف أرض جديدة. وفي الشعر العربي الحديث، لا تقتصر الريادة على الأسبقية الزمنية، بل هي ريادة فنية وفكرية، تتمثل في القدرة على تجاوز المألوف وفتح آفاق تعبيرية لم تكن مطروقة.

لقد جاءت هذه الريادة في سياق تاريخي وثقافي حاسم؛ ففي منتصف القرن العشرين، كان العالم العربي يموج بتحولات سياسية واجتماعية كبرى، مثل **نكبة فلسطين، وتصاعد الحركات الوطنية، والصدام الفكري مع الثقافات الغربية**. كل هذه العوامل خلقت شعورًا لدى المبدعين بأن القصيدة العمودية التقليدية، رغم عظمتها، لم تعد قادرة وحدها على استيعاب قلق الإنسان المعاصر والتعبير عن تعقيدات تجربته الجديدة.

من هنا، بدأ التحول نحو ما عُرف بـ "شعر التفعيلة" أو "الشعر الحر". وقد ثار جدل حول المصطلح الأدق؛ فبينما فضّلت **نازك الملائكة مصطلح "الشعر الحر"** للدلالة على التحرر من قيود الشطرين والقافية الموحدة، رأى آخرون أن "شعر التفعيلة" أدق لأنه لا يزال يعتمد على وحدة إيقاعية هي التفعيلة الموروثة من العروض الخليلي، وإن استخدمها بطريقة جديدة.

ثانيًا: الظروف التاريخية والفكرية لنشأة التجربة الشعرية الجديدة

لم تكن هذه التجربة وليدة فراغ، بل كانت استجابة حتمية لمجموعة من الظروف

1. **التحولات السياسية والاجتماعية:** الهزائم والآمال التي عاشها الوطن العربي فرضت على الشاعر البحث عن أدوات تعبيرية أكثر مرونة وقدرة على تصوير الواقع المأزوم.
2. **أثر الثقافة الغربية:** أثرت الثقافة الغربية في الشعر العربي الحديث عبر الترجمة والبعثات، حيث اطلع الشعراء على مدارس فنية جديدة. فاستلهموا **الرومانسية** في التعبير عن الذات الفردية واللجوء للطبيعة، كما فعل إبراهيم ناجي وجبران. ثم تبنوا **الرمزية** باستخدام الأقنعة والأساطير واللغة الموحية، كما يظهر جلياً في شعر السياب وصلاح عبد الصبور. هذا الاحتكاك لم يكن تقليداً، بل مثاقفة أدت إلى ولادة قصيدة عربية حديثة تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

3. **أزمة القصيدة التقليدية:** شعر الرواد أن بنية القصيدة العمودية الصارمة قد تقف عائقًا أمام تدفق التجربة الشعورية، التي لا تأتي دائمًا في قوالب متساوية، فقد كانت هناك حاجة ملحة لشكل يستوعب الدفقة الشعورية كما هي، بهمومها وتوتراتها.

ثالثا: مظاهر التجديد في شعر الرواد: دراسة في البنية والمضمون

تُعد حركة شعر الرواد؛ أوالشعر الحر؛ التي انطلقت في أواخر الأربعينيات من القرن العشرين (1947م) مع بدر شاكر السياب ونازك الملائكة، نقطة تحول جوهرية في تاريخ الأدب العربي. لم يكن التجديد مجرد تغيير في الشكل، بل كان ثورة شاملة مست الرؤية الشعرية، واللغة، والإيقاع، والمضمون.

1. مظاهر التجديد الإيقاعي (تكسير البنية)

تمثل التجديد الإيقاعي في التمرد على نظام البيت ذي الشطرين؛ والقافية الموحدة، واعتماد ؛التفعيلة؛ وحدةً موسيقية للقصيدة، تقول نازك الملائكة في كتابها قضايا الشعر المعاصر: **الشعر الحر هو شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت، وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر؛ ويكون هذا التغيير وفق قانون عروضي ثابت.**

التحول من البيت إلى السطر الشعري: أصبح طول السطر يتحدد بناءً على الدفقة الشعورية للشاعر، لا على عدد ثابت من التفعيلات.

تعدد القوافي: التحرر من رتابة القافية الموحدة، واستخدام قوافٍ متنوعة تخدم المعنى.

ففي قصيدة الكوليرا؛ لنازك الملائكة، نجد هذا التجديد الإيقاعي الذي يحاكي وقع أقدام الخيل التي تحمل الموتى:

سَكَنَ اللَّيْلْ
أَصْغِ إِلَى وَقْعِ صَدَى الأَنَّاتْ
فِي عُمْقِ الظُّلْمَةِ، تَحْتَ الصَّمْتِ، عَلَى الأَمْوَاتْ
صَرخَاتٌ تَعْلُو، تَضْطَرِبُ
حُزْنٌ يَتَدَفَّقُ، يَلْتَهِبُ

2. مظاهر التجديد في المضمون (الرؤية الشعرية)

انتقل شعراء الرواد من الذاتية الرومانسية المنغلقة إلى الواقعية الاجتماعية والالتزام بقضايا الإنسان العربي. يرى الناقد عز الدين إسماعيل أن التجديد عند الرواد لم يكن شكلياً فحسب، بل كان ؛تجديداً في الرؤية، حيث أصبح الشاعر يرى العالم من خلال تجربة إنسانية شاملة تربط الخاص بالعام.

- **الواقعية الاجتماعية:** تصوير معاناة الفقراء والمهمشين.
- **الاغتراب والمدينة:** تصوير المدينة كوحش يمتص دماء القادمين من الريف.

يقول بدر شاكر السياب في قصيدته ؛المومس العمياء؛، مصوراً البؤس الاجتماعي:

؛الليلُ يطبقُ مرةً أخرى، فتشربُه المدينةْ
والناسُ، في الساحاتِ، في الحاناتِ، في بعضِ البيوتِ

يتقاسمون غنائمَ اليومِ الذليلِ..؛

3. .توظيف الرمز والأسطورة

استخدم الرواد الرمز والأسطورة كوسيلة للتعبير غير المباشر عن الواقع السياسي والاجتماعي المعقد، ولإضفاء عمق كوني على التجربة الشعرية. يشير الدكتور إحسان عباس **إلى أن استخدام الأسطورة عند السياب كان محاولة لخلق لغة موازية للواقع، حيث تمنح الأسطورة الشاعر قدرة على قول ما لا تستطيعه اللغة المباشرة**

• **رموز البعث والخصب**: مثل أسطورة تموز ؛ وعشتار؛ والسندباد ففي قصيدة أنشودة المطر للسياب، يتحول المطر من ظاهرة طبيعية إلى رمز للبعث والثورة رغم الحزن:

أتعلمين أيَّ حُزْنٍ يبعثُ المطرْ؟

وكيف تنشج المزاريبُ إذا انهمرْ؟

وكيف يشعر الوحيدُ فيه بالضياعْ؟

بلا انتهاءْ، كالدَّمِ المراقْ، كالجياعْ،

كالحبِّ، كالأطفالْ، كالموتى، هو المطرْ

4. . التجديد اللغوي والصورة الشعرية

• **لغة الحياة اليومية**: الابتعاد عن المعجم اللغوي القديم والكلمات الجزلة المتوعرة، واستخدام لغة قريبة من لغة الناس لكنها مشحونة بالدلالات.

• **الوحدة العضوية**: القصيدة أصبحت كائناً حياً لا يمكن فصل أجزائه، بدلاً من وحدة البيت المستقلة.

يقول عبد الوهاب البياتي بلغة بسيطة وعميقة:

في مدنِ الملحِ، وفي مدنِ الغبارْ

كنا نغني للمطرْ

ونحلمُ بالنهارْ

رابعا نازك الملائكة[1].. رائدة التجديد الشعري

تحتل نازك الملائكة (1923-2007) مكانة فريدة، ليس فقط كشاعرة، بل كمنظّرة لهذه الحركة الجديدة، ولدت في بيئة أدبية وثقافية، وتسلحت بثقافة عربية أصيلة وإنجليزية واسعة.

[1] **نازك صادق الملائكة (1923-2007)**، شاعرة وناقدة عراقية من بغداد، تُعد من أبرز رواد حركة الشعر الحر في الأدب العربي. ساهمت بشكل حاسم في التجديد الشعري من خلال قصيدتها "الكوليرا" (1947) وتنظيرها النقدي لهذه الحركة. تميز شعرها بالرومانسية والذاتية، بينما اتسم نقدها بالصرامة المنهجية والدعوة إلى الانضباط الإيقاعي.**أهم مؤلفاتها:شعر**:عاشقة الليل (1947)، شظايا ورماد (1949)، قرارة الموجة (1957)، شجرة القمر (1968).**نقد**:قضايا الشعر المعاصر (1962)، سيكولوجية الشعر (1979).

وتُعتبر قصيدتها **«الكوليرا»**، التي نُشرت عام 1947، إعلانًا رمزيًا قويًا لميلاد شعر التفعيلة. استلهمت الشاعرة القصيدة من أخبار وباء الكوليرا الذي ضرب مصر، فجاءت القصيدة صرخة مدوية تعبر عن هول الموت الجماعي. تقول فيها:

<سَكَنَ الليلُ

<أصغِ إلى وَقْعِ صَدَى الأنَّاتْ

<في عُمْقِ الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ

<صرخاتٌ تعلو، تضطربُ

<حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ

<...

<الموتُ الموتُ الموتْ

<يا حُزْنَ النيلِ الصارخِ مما فعلَ الموتْ.

نلاحظ هنا كيف تحررت القصيدة من نظام الشطرين، واعتمدت على السطر الشعري الذي يطول ويقصر تبعًا للدفقة الشعورية، مع تكرار تفعيلة بحر "الخبب" (فَعِلُن)، مما خلق إيقاعًا لاهثًا يشبه وقع أقدام حاملي النعوش.

من أهم الخصائص الفنية في شعرها:

- **النزعة التأملية والذاتية**: يغلب على شعرها طابع الحزن والتأمل الوجودي، كما في قصيدتها "أنا:"
  - **< الليلُ يسألُ من أنا**
  - **< أنا سرُّهُ القلقُ العميقُ الأسودُ**
  - **< أنا صمتُهُ المتمرّدُ**
- **الانضباط الإيقاعي:** رغم دعوتها للتحرر، كانت نازك حريصة على وضع قواعد للشعر الحر، وأصرت على ضرورة الالتزام بالتفعيلة وعدم الخروج على الوزن بشكل فوضوي.

هذا الموقف النقدي ظهر جليًا في كتابها الرائد "قضايا الشعر المعاصر"، الذي يُعد أول تنظير شامل لهذه الحركة؛ لكنها في طبعات لاحقة من الكتاب، اعترفت بوجود محاولات شعر حر سبقت قصيدتها، مما يدل على أمانتها العلمية. تقول **نازك**:«. **وليس معنى هذا، بحال من الأحوال، أننا ندعو إلى تحطيم الأوزان الخليلية، وإنما ندعو إلى استعمالها حرة طليقة لا يحدّها عدد معين من التفعيلات في الشطر الواحد... فالأساس الوزني للشعر الحر هو التفعيلة، ووحدة القصيدة فيه هي التفعيلة، وليس الشطر ذا العدد الثابت من التفعيلات»المرجع :قضايا الشعر المعاصر ص 54**

خامسا: بدر شاكر السيّاب[2].. وتجذير التجربة الشعرية الجديدة

[2] **بدر شاكر السياب (1926-1964)**، شاعر عراقي من قرية جيكور، يُعد أحد مؤسسي الشعر العربي الحر وأبرز رواده. عانى من المرض والفقر والغربة، وانعكست معاناته الشخصية والقضايا السياسية العربية في شعره المجدد. يعتبر صوته الشعري رمزاً للألم والتجدد، وقد أحدث ثورة في بنية القصيدة العربية وموضوعاتها. **أهم مؤلفاته الشعرية:** أزهار ذابلة (1947(أساطير (1950(أنشودة المطر (1960(المعبد الغريق (1962(

إذا كانت نازك هي المنظّرة والمؤسسة، فإن بدر شاكر السياب (1926-1964) هو من غاص بالتجربة إلى أقصى أعماقها، وجذّرها في تربة التراث الإنساني والعربي.

تجربة السياب الشعرية تميزت بالانفتاح الهائل على (الأسطورة والتراث)؛ فقد أدرك أن الأسطورة قادرة على منح القصيدة بعدًا كونيًا يتجاوز اللحظة الراهنة. فاستدعى رموزًا من حضارات بابل واليونان والمسيحية، مثل **تموز** (رمز الخصب والتجدد)، و**المسيح** (رمز الفداء والمعاناة)، و**جلجامش** (رمز البحث عن الخلود.(

ففي قصيدته "أنشودة المطر"، يمتزج المطر كظاهرة طبيعية بالخير والعطاء، ويرتبط بالبعد الاجتماعي والسياسي للعراق. يقول:

<عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَرْ

<أو شُرفتانِ راحَ ينأى عنهما القمرْ

<أتعلمين أيَّ حُزْنٍ يبعث المطر؟

<وكيف تنشج المزاريبُ إذا انهمر؟

<وكيف يشعر الوحيدُ فيه بالضياع؟

<u>خصائص شعره الفنية فأبرزها:</u>

- **تكثيف الصورة الشعرية**: كانت صوره مركبة وغنية، تمزج بين الحسي والمجرد.
- **التحرر الإيقاعي**: كان أكثر جرأة من نازك في تنويع القوافي والأوزان داخل القصيدة الواحدة.
- **البعد الواقعي**: ارتبط شعره بهموم وطنه العراق، بهموم الفقر والمرض والغربة، مما أعطى تجربته صدقًا إنسانيًا مؤثرًا.

خامسًا: المقارنة بين نازك الملائكة وبدر شاكر السيّاب

على الرغم من اشتراكهما في الريادة، يمكننا رصد نقاط التقاء واختلاف جوهرية:

- **نقاط الالتقاء:**
  * كلاهما انطلق من العراق ليكسر بنية القصيدة العمودية.
  * كلاهما تأثر بالثقافة الغربية، خاصة الرومانسية والرمزية.
  * كلاهما عبّر عن قلق الإنسان المعاصر وتجربته الوجودية

نقاط الاختلاف:

- **نازك**: كانت أقرب إلى التنظير ووضع القواعد، مع نزعة ذاتية ورومانسية واضحة، وحرص على الانضباط الإيقاعي.
- **السيّاب**: كان أقرب إلى (التجريب) والغوص في الأسطورة والرمز، مع نزعة واقعية وتراجيدية، ورؤية شعرية أكثر تركيبًا وعمقًا.

يمكن القول إن نازك فتحت الباب، بينما بنى السياب صرحًا شامخًا داخل هذا الباب المفتوح.

لم تكن تجربة نازك والسياب مجرد مغامرة فردية، بل كانت نقطة تحول أثرت في أجيال من الشعراء اللاحقين. لقد فتحا آفاقًا جديدة للتجريب، وانتقلا بالشعر من الغنائية الفردية المحضة إلى **الرؤية الكونية** التي تتفاعل مع قضايا الإنسان الكبرى.

لقد أثارت هذه الحركة جدلًا نقديًا واسعًا لم يهدأ حتى اليوم، بين مدافع يرى فيها تطورًا طبيعيًا للشعر، ومعارض يتهمها بتشويه التراث. ولكن الأكيد أنها رسّخت نفسها كجزء لا يتجزأ من هويتنا الشعرية المعاصرة.

خاتمة

في الختام، يمكننا القول إن نازك الملائكة وبدر شاكر السياب لم يكونا مجرد شاعرين، بل كانا **علامتين مؤسستين** في الثقافة العربية الحديثة. لقد أثبتا أن التجديد الحقيقي لا يعني القطيعة مع التراث، بل هو حوار خلاق معه، يمنحه حياة جديدة ورؤية معاصرة.

لقد كانت ريادتهما هي الشرارة التي أطلقت مسيرة طويلة من التحولات في القصيدة العربية، وهي مسيرة لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا، تثبت أن الشعر، كالحياة، قادر دائمًا على تجديد نفسه.